

استخدامات الشباب لوسائل الاتصال الحديثة: دراسة ميدانية في المؤسسة التربوية

د.ة فاطمة ميدان

جامعة وهران 2

مقدمة:

من أهم التحولات الجذرية لتكنولوجيات الاتصال الحديثة بتعدد وسائلها وفروعها، والتي أخذت أبعادا فاقت التصورات التي وضعت لها، تلك الاستخدامات التي أضحت من أساسيات الحياة المعاصرة، بل باتت تشارك مؤسسات التنشئة الاجتماعية في صنع الكثير من المتغيرات الأخلاقية والإيديولوجية والسلوكية والسياسية، والثقافية لدى معظم فئات المجتمع.

تهدف هذه الدراسة إلى طرح بعض القضايا التي تخص الشباب من خلال ظاهرة أخذت بعدا لا يستهان به وجب التوقف عندها ومحاولة فهمها، ألا وهي ظاهرة استخدام الشباب لوسائل الاتصال الحديثة؛ ونخص بالذكر الانترنت والهاتف النقال والتي أصبحت تلعب دورا هاما في واقعهم اليومي.

لقد غيرت التكنولوجيات الحديثة من سلوك الشباب وتصرفاتهم وعلاقتهم بأسرهم و ببعضهم البعض، كما غيرت من نمط حياتهم وأساليب تعاملهم مع المحيط الاجتماعي الذي يتواجدون فيه ويتعاملون معه. لقد فرضت هذه التكنولوجيات نفسها على الشباب (ونعني هنا تلاميذ طوري المتوسط والثانوي) وملأت أوقاتهم بكثير من الأنشطة الذهنية والأفكار والرسائل والمعاني الجديدة، وأصبح من الصعب عليهم التمييز بين العالم الواقعي الذي يعيشون فيه والعالم الافتراضي الذي ينشطون ويتواصلون من خلاله. ويتشكل الواقع الجديد للشباب

وفق هذه المعادلة التي أصبحت بمثابة الاطار المرجعى لسلوكهم، ينسج الشباب علاقة خاصة مع وسائل التواصل الحديثة بشتى أنواعها، ويرتبط بها "حميميا" عبر الشاشة بشكل غير إرادي؛ حيث أن النشاط الاتصالي أخذ مساحة هامة في حياتهم وبات جزءا رئيسيا من نشاطهم اليومي.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في أنها تتطرق إلى موضوع بالغ الأهمية يعنى بالمخاطر التي تنطوى عليها ظاهرة استخدام الشباب المفرط لتكنولوجيات الاتصال الحديثة بجميع أنواعها. انها محاولة للفت الانتباه، خاصة انتباه الأولياء والمعلمين (أى المسؤولين على عملية التنشئة الاجتماعية)، إلى خطورة الظاهرة التي تفشت كالوباء في أوساط البنين والبنات.

أسباب اختيار الموضوع:

ان انتشار وسائل التكنولوجيا الحديثة في أوساط الشباب والأطفال، ومن بينهم التلاميذ، أثار فضولنا العلمى للاقتراب من الظاهرة ومحاولة معرفة استخدامات المراهقين لهذه الوسائل، ومعرفة مدى الاتساق بين الواقع الذي تعكسه والواقع الفعلى المعاش. أي أن اهتمامنا انصب على استخدامات التلاميذ لتكنولوجيات الاتصال الحديثة بين الواقع الافتراضى والواقع الاجتماعى. وقد انطلقنا من التساؤل الرئيسى التالى:

- في إطار ثنائية الاستخدامات والإشباع، ما مدى الاتساق بين الواقع

الاجتماعى الذي يعيشه التلميذ أو الشاب في الجزائر وبين الواقع الذي تنقله وسائل الاتصال الحديثة (الواقع الافتراضى)؟

إلى جانب التساؤل الرئيسى طرحنا تساؤلات فرعية قصد الالمام أكثر بمختلف جوانب الموضوع:

• ما الذي تقدمه تكنولوجيات الاتصال الحديثة للتلميذ أو الشاب، كيف تتصورهم فتصورهم؟

- هل يؤدي الواقع الافتراضي الذي يبحر فيه الشاب إلى الانفصام عن الواقع الاجتماعي الذي يعيشه؟
- ما هي المساحة التي يخصصها الشاب لهذه الوسائل في حياته اليومية، وما هي الإشباعات التي تقدمها له؟

فرضيات الدراسة:

- تنطلق فرضيات الدراسة من بعض فروض مدخل الاستخدامات والإشباعات، وهي على النحو التالي:
- جمهور الشباب جمهور نشط، يختار التعرض للوسيلة التي تشبع حاجاته والمضمون الذي يتفق وتوقعاته.
- الواقع الاجتماعي في وسائل الاتصال مغاير ومختلف تماما عن الواقع الفعلي.
- تتحكم متغيرات نفسية واجتماعية في عملية استخدام جمهور الشباب للتكنولوجيات الحديثة.

منهج الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي التحليلي والذي يسمح لنا بوصف ما هو موجود في الواقع من زوايا مختلفة، وتفسير المعطيات المستقاة من الدراسة حيث أن الظاهرة تنتمي للحاضر. كما استعنا بالمنهج الكمي الذي يساعدنا على تحليل النتائج والبيانات الرقمية، ووظفنا مدخل الاستخدامات والإشباعات لفهم الأسس النفسية-الاجتماعية لاستخدام هذه الوسائل من طرف التلاميذ.

عينة الدراسة:

أجريت الدراسة على عينة يقدر حجمها ب 300 مفردة ممن تتوفر فيهم خصائص معينة تتلاءم وموضوع الدراسة، وقد تم اختيارها بطريقة العينة العشوائية وهذا لصعوبة استخدام العينة الحية مع فئة التلاميذ دون سن السادسة عشر، وكذلك لصعوبة الحصول على قوائم التلاميذ من المؤسسات التعليمية.

شملت العينة على تلاميذ من مؤسسات تعليمية في الجزائر العاصمة وهران، وقد تم تمثيل المتغيرات الديموغرافية في عينة الدراسة بهدف التنوع في العينة، حيث ضمت الإناث والذكور من السنة الرابعة متوسط وتلاميذ السنوات الثلاث الثانوية والتي تتراوح أعمارهم بين 14 و18 سنة.

وزعت العينة بالتساوي بين الولايتين بحجم 150 مفردة لكل ولاية، وبالتساوي بين الذكور والإناث بعدد 75 مفردة لكل نوع.

المجال المكاني والزمني للدراسة:

أجريت الدراسة على التلاميذ الذين يزاولون دراستهم بولاية الجزائر العاصمة باب الوادي وباش جراح، وفي هران بعي الصديقية وحي سيدى البشير.

اختيرت المؤسسات التربوية عشوائيا حسب امكانية اجراء المقابلات وحسب اعتبارات أخرى كالمعرفة الشخصية بالمدرء أو المعلمين أو عمال المؤسسة.

وزعت الاستمارات عن طريق بعض الأساتذة الذين أشرفوا على عملية وملئها وجمعها، وقد تم توزيع 400 استمارة وبعد عملية ملئها وجمعها تم استبعاد 100 استمارة لعدة أسباب منها الامتناع عن الإجابة، وعدم الإجابة على بعض الاسئلة المحورية، والخروج عن الموضوع، والإجابات الخارجة عن الآداب العامة.

أجريت الدراسة الميدانية خلال الفصل الثاني من العام الدراسى 2009-2010 والفصل الثالث من العام 2010-2011.

أدوات جمع البيانات:

جمعت البيانات المتعلقة بموضوع الدراسة عن طريق الاستمارة التي ضمت 70 سؤالا بين أسئلة مغلقة وأخرى مفتوحة، تمت صياغتها حسب المحاور التالية:

- استخدام التلاميذ لوسائل الاتصال الحديثة كالحاسوب، والانترنت، والهاتف النقال.
- مدى الاستفادة من الاستخدام في الحياة اليومية والدراسية.
- مدى نقل وسائل الاتصال للواقع الاجتماعي.
- الإشباع المحقق من جراء استخدام وسائل الاتصال.

معالجة الاحصائية للبيانات:

لقد تم تفريغ الاستثمارات عن طريق الحاسوب الآلي قصد معالجة البيانات إحصائياً باستخدام برنامج SPSS، وتم تصنيفها في جداول بسيطة ومركبة بهدف تحليلها واستخراج نتائج الدراسة.

الدراسات السابقة:

1- الدراسات الأجنبية:

أهم خطوة في إنجاز الدراسات العلمية والأبحاث هي الاطلاع على الدراسات التي تناولت الموضوع بهدف تزويد الباحث بمعلومات تكون خافية عنه، كما تفتح أمامه آفاقاً تستفيد منها الدراسة وتزوده بأهم الأفكار التي كتبت حول الموضوع وأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسات السابقة.

ومن بين تلك الأبحاث التي اطلعنا عليها دراسة نانسي آن جينينغ Jenning Ann Nancy عام 2000 بعنوان: "الأطفال والأسرة والمدارس في مجتمع المعلومات"⁽¹⁾. حاولت هذه الباحثة التعرف على استخدام الأطفال لوسائل الاتصال، خاصة القنوات الفضائية والحاسوب والانترنت، من خلال دراسة ميدانية على عينة قوامها 250 مفردة من التلاميذ في نهاية المرحلة الابتدائية و125 مفردة من عائلاتهم، و27 مفردة من المعلمين من ذوى الدخل المحدود في ولاية تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية، وكلهم ممن يستخدمون الحاسوب والانترنت في المدرسة أو في البيت والمدرسة معاً. وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج، منها:

- تمتلك نسبة 62.45 % من عينة الدراسة حاسوباً تستخدمه بشكل مكثف على عكس العينة التي لا تمتلك جهاز كمبيوتر. كما أن نسبة 44.72 % من العينة لها اتصال بشبكة الانترنت.
 - هناك علاقة بين مستوى الدخل للأسرة وامتلاكها جهاز كمبيوتر، حيث أن 75.5 % من الأسر مرتفعة المستوى الاقتصادي والاجتماعي تملك جهاز كمبيوتر.
 - بالإضافة إلى ذلك، استنتجت الباحثة وجود علاقة بين نوع الطفل Gender ومكان تعامله مع الحاسوب، حيث أن الإناث تفضلن التعامل مع الحاسوب في المنزل أكثر من المدرسة. وتبين الدراسة كذلك أن مواقع القنوات الفضائية هي أهم ما يتعرض له الأطفال عبر شبكة الانترنت.
- الدراسة الثانية هي لبيتر نيكين Nikken, Peter التي صدرت عام 2000 بعنوان: "استخدام الأطفال الهولنديين للانترنت وألعاب الفيديو"⁽²⁾، ركزت على عينة قوامها 427 مفردة من الأطفال الهولنديين من الفئة العمرية 9-12 سنة في عدة مدارس ابتدائية، وقد أسفرت الدراسة فيما يخص القنوات الفضائية على وضع عدة توصيات ومعايير لبرامج الأطفال التي تبث على هذه القنوات، منها:
- ضرورة معالجة البرامج لمشاكل الأطفال وحياتهم اليومية بشكل يوحى بالمصداقية واحترام طريقة تفكيرهم، واستخدام لغة تدفع إلى الرقي اللغوي بعيدة عن السذاجة وخالية من العنف ومشاعر الخوف.
 - وجوب عكس صورة الطفل الحقيقية في برامج الأطفال - أي أنه يظهر في هذه البرامج كطفل زائد الوزن، أو عادي الذكاء، أو يرتدى نظارات، أو خجول، إلخ.....-
- حتى يرى الطفل نفسه مجسداً في الفضائيات مما يزيد من مصداقية البرامج ويدفع بالطفل إلى مشاهدة برامج الأطفال ولا ينصرف عنها لبرامج الكبار.

- المطالبة بملاءمة هذه البرامج مع أعمار الأطفال وأن تتغير باستمرار بما يلبي رغباتهم الذهنية وميولهم الترفيهية.

الدراسة الثالثة هي للباحثين شيرلى Cherly وجونزلى Jones Lee نشرت عام 2000 بعنوان: "تأثير تدخل الوالدين على استخدام الأطفال للمواد الترفيهية في التلفزيون والانترنت والالعاب الفيديو"⁽³⁾ شملت عينة قوامها 304 مفردة من تلاميذ المدارس الذين يتعرضون للقنوات الفضائية والانترنت وألعاب الفيديو، وهدفت إلى الإجابة على عدة أسئلة، منها:

- ما هي الآليات التي يستخدمها الوالدان في تقنين عملية متابعة الأطفال للوسائل الجديدة؟
- هل هناك وسائل بعينها - من الوسائل الجديدة- يتم بواسطتها التقنين؟

• هل تؤثر العوامل الديموغرافية، وسن الطفل، والنوع، ودرجة تفوقه في الدراسة في مدى تدخل الأهل في التعرض للوسائل الجديدة؟

• هل يؤثر حجم الأسرة والمستوى الثقافي للوالدين في وعيهم واهتمامهم بالتدخل فيما يتعرض له أولادهم؟

وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها:

- أن غالبية الأسر تستخدم آليات لضبط علاقة الطفل بالوسيلة ولكن تختلف آليات الضبط من وسيلة لأخرى.
- أن أغلبية الأسر عينة الدراسة تضع قيودا على استخدام الأطفال للقنوات الفضائية والانترنت أكثر من ألعاب الفيديو.
- أن الاطفال الأصغر سنا يتعرضون لقيود أكثر من الاطفال الأكبر سنا في استخدامهم لوسائل الاتصال الحديثة كالقنوات الفضائية والانترنت، وأن الأطفال الذين يعيشون في الأسر كبيرة الحجم يتعرضون لقيود أكثر من غيرهم في استخدامهم لهذه الوسائل.

الدراسة الرابعة للباحثة ماري كاترين كوران Curran, Marie Catherine نشرت بعنوان: "استخدام الأطفال للإعلانات التي تعرض في التلفزيون

والانترنت"⁽⁴⁾ سنة 2008، وقد أكدت الدراسة أن التقنيات الحديثة التي تستخدم في صناعة الإعلانات التي تعرض في التلفزيون والانترنت، بالإضافة إلى زيادة أعداد القنوات الفضائية بصورة عامة، ضاعف من حجم جمهورها، ويعد الأطفال شريحة هامة من ذلك الجمهور. وهدف البحث إلى:

- التعرف على استخدام الأطفال للإعلان في الانترنت والتلفزيون
- التعرف على فروق هذا الاستخدام بين الأطفال الأكبر والأصغر سنا.

وقد توصلت الدراسة إلى أن متغير السن له تأثير على استخدامات الجمهور للوسائل وعلى الإشباعات المتحققة لهم وكذا استخداماتهم.

2- الدراسات العربية

وصلت دراسة حسن على محمد (2004) بعنوان: ""استخدامات الشباب الجامعي للقنوات الفضائية الغنائية والإشباعات المتحققة""⁽⁵⁾ على عينة عمدية من شباب الجامعات المصرية قوامها 150 مفردة إلى عدة نتائج، من أهمها:

- ارتفاع معدلات مشاهدة القنوات الفضائية بين طلاب جامعة 6 أكتوبر لتصل إلى 100 % من عينة الدراسة، تليها نسبة مشاهدة 90 % بين طلاب جامعة القاهرة، بينما يلاحظ انخفاض ملحوظ في معدل المشاهدة لدى طلاب جامعة المنيا بنسبة 78 %.
- أهم دوافع مشاهدة الشباب الجامعي عينة الدراسة للفضائيات الغنائية الحكومية، هي بالترتيب: دافع التسلية، يليه دافع مراقبة البيئة الاجتماعية.
- تغلب الدوافع النفعية لدى شباب الجامعات الحكومية في علاقتهم بالفضائيات الغنائية الحكومية، مقارنة بتعاظم الدوافع الترفيهية لدى شباب الجامعات الخاصة.

الدراسة الثانية لصفا فوزي (2003) بعنوان: "علاقة الطفل المصري بوسائل الاتصال الالكترونية"⁽⁶⁾ على عينة طبقية عشوائية قوامها 400

مفردة من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 12 و18 سنة في محافظة القاهرة الكبرى. وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

- تمتلك أسر 20.5 % من الاطفال عينة الدراسة جهاز استقبال القنوات الفضائية، وأهم القنوات المشفرة التي يشتركون فيها هي:الأوائل 31.07%، وأوربيت 12.1%، و Showtime 11%، ويشاهد القنوات الفضائية بوجه عام 30 % من الأطفال عينة الدراسة، منهم 9.7 % بشكل دائم و20.3 % بشكل متقطع.

- يشاهد 3.3 % من عينة الدراسة القنوات الفضائية أقل من ساعة يوميا، ويشاهدها 24.2 % من ساعتين إلى أقل من 3 ساعات، و22.5 % لأكثر من 3 ساعات يوميا.

اهم المواد والبرامج التلفزيونية التي يفضل الأطفال عينة الدراسة مشاهدتها الأفلام الأجنبية لنسبة 18.1 %، والمقاطع فيديو موسيقية بـ 15.6 %، والأفلام العربية بـ 11.4 %، ونشرات الأخبار والبرامج الإخبارية بـ 8.5 %، والمسلسلات الأجنبية بـ 6.3 %، والبرامج التعليمية بـ 6%.

الاستفادة من الدراسات السابقة:

لقد تم الاستفادة من الدراسات السابقة في المواضيع التالية:

- تحديد مدخل الاستخدامات والإشباع كإطار نظري للدراسة، علما أنه لا توجد على حسب إطلاعنا - وإلى غاية كتابة هذه الأسطر - دراسات سابقة تناولت استخدامات الشباب في المجتمع الجزائري لتقنيات الاتصال الحديثة والإشباع المتحققة من جراء التعرض.

- المساعدة على تصنيف الحاجات بشكل مفصل ومبسط
- المساعدة على تصنيف الاستخدامات والإشباع
- التوزيع المتساوي لأفراد العينة، ليس بغرض المقارنة وإنما بغرض تنوع مجتمع البحث طبقا للخلفية الاجتماعية لأفراد العينة.
- صياغة فروض الدراسة في إطار مدخل الاستخدامات والإشباع.

لقد تنوعت الدراسات والأبحاث التي تناولت الموضوع، غير أننا اقتصرنا على الدراسات التي بحثت في مجال علاقة الأطفال والمراهقين بوسائل الاتصال واستخداماتهم لها والإشباع التي تحققها لهم، إلا أنها تبقى شحيحة فيما يخص الوطن العربي والجزائر خاصة.

مدخل الاستخدامات والإشباع:

قبل التطرق لنتائج الدراسة الميدانية نحاول ان نعطي لمحة تاريخية عن بدايات مدخل الإستخدامات والإشباع. كانت بدايات ظهور مدخل الإستخدامات والإشباع في أربعينيات القرن الماضي وجاء هذا نتيجة للقصور في الاتجاه البحثي القديم القائم على فكرة أن السلوك البشري يتحدد طبقا للآلية البيولوجية الموروثة، أي أن الطبيعة الأساسية للكائن الحي متشابهة تقريبا وبالتالي استجاباتهم للمثيرات المختلفة مماثلة⁽⁷⁾. ركز المدخل على أهمية ادراك الفروق الفردية والتباين الاجتماعي الذي يؤثر على ادراك السلوك المرتبط بوسائل الاتصال⁽⁸⁾.

لقد لعبت الرسالة الاعلامية دورا مهما في تغيير النظرة الأحادية الكلاسيكية لوسائل الاتصال فالنظريات التي كانت تعتبر الجمهور متلق سلبي أمام قوة الرسالة، قد انتهت وحل محلها مفهوم الجمهور النشط الذي يقوم بعملية الاختيار والتحكم في الرسائل التي يريد التعرض لها⁽⁹⁾، ومن هنا ظهر مدخل الإستخدامات والإشباع usages et gratifications كرد فعل لمفهوم "قوة وسائل الاتصال الطاغية"⁽¹⁰⁾، كما اشارت هويت Houit إلى أن هناك عوامل تدفع بالأفراد لاستخدام وسائل الاتصال ومن هنا انبثق مصطلح الإستخدامات usages كما أن احتياجات الأفراد يمكن أن تشبع من التعرض لوسائل الاتصال فبالنظر في ظهور مصطلح الإشباع gratifications فانتقل التركيز من القائم بالاتصال إلى التركيز على المستقبلين ومن ثم اطلق عليه لفظة الجمهور⁽¹¹⁾، الذي يفترض أن الأفراد ليسوا سلبيين، أو ضحايا لتأثيرات وسائل الاتصال، وإنما يختارون بوعي وإتقان وسائل الاتصال التي يرغبون في

استخدامها ونوع المضمون الذي يلبي حاجاتهم النفسية والاجتماعية من خلال قنوات المعلومات والترفيه المتاحة في المجتمع⁽¹²⁾.

ومن ثم فإن الأفراد يقومون بدور ايجابي في عملية الاتصال، حيث يطوعون الوسائل لتلبية احتياجاتهم، وليست الوسائل هي التي تسيطر عليهم، فالفرد يولي اهتماما للوسائل التي تحقق له حاجاته وتساعد على اشباع رغباته⁽¹³⁾.

نشأة مدخل الاستخدامات والإشباع:

تعد دراسة هيرتا هرزوك Herta, Herzog المنشورة سنة 1944 أول بحث يقدم اختبارا لإشباع وسائل الاتصال والمعنون "دوافع الاستماع للمسلسل اليومي واشباعاته"، حيث اجرت الباحثة مقابلات مع عينة تقدر بـ 200 مستمعة للمسلسل اليومي الذي يقدمه المذيع نهارا وتوصلت إلى نتيجة مفادها وجود اشباعات أساسية من جراء الاستماع لهذه النوعية من المسلسلات، ركزت الباحثة على تقييم أسباب الاستماع لهذه المسلسلات واستخداماتهن لها والإشباع المتحققة لهن على عكس التيار الذي كان سائدا آنذاك والذي يرمي إلى قياس تأثير متابعة المسلسلات على المستمعات⁽¹⁴⁾.

ان الاسس التي اعتمد عليها مدخل الإستخدامات والإشباع، تتمثل في سؤال الجمهور مباشرة عن توقعاتهم ودوافعهم واستخداماتهم واحتياجاتهم التي يريدون اشباعها من خلال التعرض لوسائل الاتصال.

ولقد ركز كل من كاتز Catz وبلمار Belmar وجيرفيتش Gurvitch على تعبير أفراد الجمهور عن احتياجاتهم بطريقة مثلى لقياس احتياجات واستخدامات الجمهور لوسائل الاتصال، ويفترض هؤلاء الباحثون أن أفراد الجمهور على وعي باحتياجاتهم بطريقة كافية يعبرون عن أنفسهم بجانب وعيم بما تقدمه لهم كل وسيلة اعلامية على حدة⁽¹⁵⁾.

لقد انتهج الباحثون في مجال الإستخدامات والإشبعات عدة طرق في دراسة استخدامات الجمهور لوسائل الاتصال منها⁽¹⁶⁾:

- النموذج الأول: دراسة ادوني Adoni الذي قام بمقارنة استخدام الشباب لكل من الكتب والصحف اليومية، والسينما، والراديو والتلفزيون ودور كل وسيلة في عملية التنشئة السياسية لديهم.
- النموذج الثاني: دراسة جرينبرج Greenberg وهي دراسة لوسيلة واحدة والإشبعات المتحققة من وراءها حيث درس استخدامات أطفال المدارس للتلفزيون في بريطانيا.
- النموذج الثالث: دراسة ليفي Lévy الذي قام بتحليل استخدامات الجمهور للأخبار المذاعة بالتلفزيون.
- النموذج الرابع: دراسة كل من شالفا Shalva وساندرز Sanders التي استهدفت التحقق من مقارنة الإشبعات الفعلية الناجمة عن مشاهدة برنامج (خلف الأبواب المغلقة)، اتبع الباحثان في هذه الدراسات أربع طرق أساسية تتمثل في:
أ. استخدام أكثر من وسيلة ومقارنة كل وسيلة بأخرى ودورها في عملية التنشئة السياسية

ب. استخدام وسيلة اعلامية واحدة والإشبعات التي تحققها.

ج. دراسة برامج محددة ومضامين معينة في وسيلة واحدة أو أكثر، وكيفية استخدامها.

د. دراسة الإستخدامات لوسيلة واحدة محددة، لكن في كثير من الاحيان يجمع الباحثون بين الطرق الاربعة في دراسة استخدامات الجمهور لوسائل الاتصال⁽¹⁷⁾.

الدراسة الميدانية:

ظهرت مستحدثات تكنولوجيا الاتصال في الجزائر في مرحلة كانت مليئة بالأحداث والأزمات خارجيا وداخليا حيث عرف العالم تغيرات جذرية جيو-

سياسية مثل انهيار المعسكر الاشتراكي، سقوط جدار برلين، أزمة البلقان وعلى الساحة العربية والاسلامية نشوب حرب الخليج، الانتفاضة الفلسطينية الأولى، تصاعد التيار الاسلامي السياسي وحرب افغانستان والشيشان.

اما داخليا اشتداد الأزمة الاقتصادية وعجز ميزانية الدولة: ظهور العنف السياسي، تفاقم الأزمة الاقتصادية والاجتماعية، تصاعد تيار الاسلام السياسي، كما عرف المجتمع تغيرات عميقة على كافة المستويات السياسية الثقافية الاقتصادية والاجتماعية تمثلت في انتهاء عهد الحزب الواحد وظهور التعددية الحزبية، خفض قيمة الدينار جدولة الديون لدى صندوق النقد الدولي، رفع الدعم عن المواد الاستهلاكية الأولية، بيع المؤسسات العمومية وتسريح العمال، ارتفاع نسبة البطالة وأزمة السكن، اعادة طرح المسألة الأمازيغية في ثوب ثقافي سياسي، الاعتراف بالأمازيغية، المطالبة بالهوية البربرية حرية التعبير، التراجع عن قانون التعريب وفوق كل هذا منع دخول الصحف والمجلات والكتب الأجنبية الأمر الذي انجر عنه انسداد في المشهد الثقافي والسياسي في الجزائر. اكتسحت الفوضى المجتمع الجزائري من كل الجوانب ابتداء بأحداث أكتوبر 1988 وظهور الجبهة الاسلامية للإنقاذ كحزب كان له دور حاسم في صنع الأحداث، وصولا إلى اضطرابات 1991 التي شلت هياكل الدولة والمجتمع مرورا بقانون حالة الطوارئ ثم اغتيال الرئيس محمد بوضياف وانفجار الأوضاع فتزايدت الاغتيالات والتفجيرات وانتشر العنف في كافة مجالات الحياة الاجتماعية.

في خضم هذه الأحداث عرفت الساحة، بداية دخول مستحدثات تكنولوجيا الاتصال وهذا بظهور الهوائيات المقعرة والبث الفضائي، وبدأت أجهزة الاتصال الآلي تدخل الاسواق وتعرف اقبالا من طرف الكبار والصغار، واخذ استخدام هذه الوسائل يزداد يوما بعد يوم ولعبت دور الوسائط لنقل التفاعل بين أفراد المجتمع الكبير أو ما يطلق عليه روبرت اسكريبت Robert Escarpit⁽¹⁸⁾، اسم المجتمع ذو الحجم الضخم Hyper dimension، وقد شمل هذا

الإستخدام معظم الفئات الاجتماعية من بين هذه الفئات تلاميذ المدارس والثانويات الذين وجدوا ملاذا لأشباع فضول المرحلة العمرية التي يمرون بها. وأصبحت هذه الوسائل اليوم بمثابة المعلم الأول، أن نتساءل عن طبيعة هذه الاستخدامات، وما هي المساحة التي يخصصها المراهق في حياته اليومية لها؟ ماذا تمثل بالنسبة له؟ وما هي الإشباعات المحققة من خلال هذا الاستخدام؟ وهل تساعده على التعرف على الواقع؟ هل دخل التلاميذ مرحلة الأدمان على وسائل الاتصال؟ وهل أصبحت هذه الوسائل بديلا تعويظيا Un objet transitionnel وللاقترب من الظاهرة ومحاولة إيجاد اجابات لتساؤلاتنا توجهنا خلال انجازنا لهذه الدراسة إلى الأفراد الذين يعيشون الظاهرة بأنفسهم، وهم التلاميذ.

شملت العينة على 300 مفردة موزعة بالتساوى بين النوعين الاناث والذكور اى بنسبة 50 % لكل نوع يزاولون دراستهم في اقسام السنة الرابعة متوسط: الأولى، الثانية والثالثة ثانوى.

اما المستويات التعليمية لأولياء التلاميذ أفراد العينة تتوزع إلى ثلاثة فئات وقد ارتأينا أن نركز على هذا الجانب لأن المستوى التعليمي للوالدين مهم في رأينا حيث أن الآباء هم المشرفون الأساسيون على عملية التنشئة الاجتماعية.

الامهات:

- الفئة الأولى: 14.1 % ذات مستوى عالي.
- الفئة الثانية: 35.4 % ذات مستوى متوسط.
- الفئة الثالثة: 50.5 % ذات مستوى ضعيف.

الآباء:

- الفئة الأولى: 18.6 % ذات مستوى عالي.
- الفئة الثانية: 66.8 % ذات مستوى متوسط.
- الفئة الثالثة: 14.6 % ذات مستوى ضعيف.

إن المستوى التعليمي لآباء افراد العينة متقارب مع المستوى التعليمي للأمهات في المستوى الأول، أي العالي أما نسبة الأمهات في المستوى الثالث فهي أعلى من نسبة الآباء أي أن نسبة الأمهات ذوات المستوى التعليمي الضعيف أعلى من الآباء، بينما نسبة المستوى المتوسط بين الآباء أعلى منها لدى الأمهات.

للأمهات دور هام في الرقابة على استخدامات ابنائهن لوسائل الاتصال، حيث يستطعن توجيه اختيارهم كما يمكنهن من النقاش معهم حول مشاهداتهم واستخداماتهم.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يمكن للأمهات بهذا المستوى التعليمي المتدني مواكبة التطورات الحاصلة في ميدان تكنولوجيات الاتصال ومن ثمة فهم وتوجيه ومراقبة، بل مشاركة هؤلاء التلاميذ؟

أسفرت الدراسة عن عدة نتائج من بينها:

إجماع أفراد العينة على استخدامهم لوسائل الاتصال الحديثة منها والقديمة، ويعتبر التلفزيون الوسيلة الأكثر استخداما بين أفراد العينة، وهي الوسيلة الوحيدة المتوفرة في جميع المنازل بنسبة 100% ذكورا وإناثا، بصرف النظر عن التباينات السوسيو- ثقافية. من جهة أخرى، بلغت نسبة الحواسيب الآلية في المنازل 45% ونسبة المرتبطين بالانترنت 31.1%، رغم أن نسبة استخدامه خارج المنازل بلغت 74.9 % كما أن نسبة 63.8% من أفراد العينة يملكون هاتفا نقالا، وهو الوسيلة الثانية بعد التلفزيون المتوفرة لدى أفراد العينة.

يستخدم التلفزيون بملحقاته الحديثة وهو الوسيلة المفضلة لدى أفراد عينة الدراسة لملء وقت الفراغ تعتبر مشاهدة التلاميذ عينة الدراسة للتلفزيون مشاهدة كثيفة حيث ان 52.6% من أفراد العينة تشاهد التلفزيون لمدة 6 ساعات يوميا.

يستخدم الهاتف النقال بطريقة فردية حيث يعتبر ملكية خاصة، يلجأ اليه التلاميذ في كل الأوقات، انه الوسيلة التي يتفاعل معها التلاميذ أكثر من الوسائل الأخرى حيث تستخدم طوال النهار وفي كل مكان.

للهاتف النقال استخدامات متعددة من طرف تلاميذ عينة الدراسة فهو يستعمل للعب، التقاط الصور، الاستماع للموسيقى، مشاهدة صور وفيديوهات مسجلة، لإرسال واستقبال الرسائل القصيرة، معاكسة الآخرين...

تستخدم نسبة كبيرة من عينة الدراسة وهي 79.54% الحاسوب والانترنت يوميا، فاستخدامات أفراد العينة للحاسوب تتمثل في اللعب والتسلية عندما لا يكون موصولا بالانترنت، بينما يتنوع استخدامه عند ارتباطه بالشبكة العنكبوتية فيستخدم كوسيلة للحصول على المعلومات أو للدراسة والاتصال عن طريق البريد الإلكتروني للدردشة البحث عن أصدقاء جدد، التسلية واللعب، الهروب من الواقع.

ان كثافة الإستخدام والمشاهدة صارت أحد عناصر عملية التنشئة الاجتماعية، بفعل نقل الشاشة (التلفزيون، الحاسوب، الانترنت، الهاتف النقال) لمجموعة من العناصر الثقافية والقيم والمعايير للمستخدم.

ان استخدام وسائل الاتصال من طرف المراهقين أصبح سلوكا يوميا منتظما. وقد أجمع أفراد العينة على أنهم يستخدمون يوميا التلفزيون والهواتف النقالة، وانقسمت الاجابات بين من يستخدم الحاسوب والانترنت يوميا وهناك من يفعل ذلك أسبوعيا.

لقد أصبح استخدام التلفزيون ومستحدثات التكنولوجيا سلوكا منتشرا بين النوعين، بغض النظر عن مختلف المتغيرات التي يخضعون لها.

38.9% تشاهد التلفزيون لمدة 6 ساعات يوميا، 45.5% تستعمل الانترنت أكثر من 4 ساعات يوميا.

76% تمتلك هواتف نقالة، 62.3% تأخذها معها للمدرسة فهي أصبحت جزءا من حياتها لا يمكنها الاستغناء عنها. ومن النتائج الملفتة للانتباه التي توصلنا اليها أن 66.7% من عينة الدراسة ترى أن هناك فرقا بين العالم الافتراضي والعالم الواقعي، 37.6% اعلنوا انهم تغيروا اتجاه جيرانهم، 53.2% اتجاه زملائهم بينما أقر 51.1% أنه لم يحدث لهم تغير نحو عائلاتهم و63.8% نحو معلمهم.

ان استخدامات التلاميذ لمستحدثات التكنولوجيا تمثلت في التالي:

- استخدامات تعليمية: مثل تعليم الذات، كسب التجارب، تشكيل السلوك، وتقديم الأدوار البديلة.
- استخدامات اتصالية: استخدام مستحدثات التكنولوجيا كأداة تفاعل اجتماعي.
- استخدامات وظيفية: من أجل تحقيق الاشباع، تلبية الاحتياجات حيث ينتقي التلميذ الوسيلة إلى تشبع حاجاته حسب خصائص كل وسيلة والسياق الاجتماعي الذي يتم فيه الإستخدام.
- استخدامات ترفيهية: بوصفها مهمة في حد ذاتها لاشباع الحاجة إلى التغيير والاسترخاء والهروب من الواقع، البحث عن علاقات جديدة.

اما فيما يخص الإشباع المتحققة من استخدام وسائل الاتصال في هذه الدراسة فهي على النحو التالي:

* اشباع الحاجات المعرفية، الرغبة في البحث والدراسة، الاستفادة من التجارب، محاكاة الواقع، الاطلاع بالأخبار والأحداث، الهروب من مشاكل الحياة اليومية، اللعب والترفيه، الحاجات الاجتماعية، التميز عن الآخرين، ملء الفراغ.

ان محتوى مضامين التعرض والإستخدامات تختلف من تلميذ لآخر، ومحتوى مضمون معين يحقق اشباعا معرفيا لأحد الأفراد بينما يحقق اشباعا تنفيسيا لفرد آخر. ومن ثمة فان اختلاف الاحتياجات النفسية

والاجتماعية للتلاميذ تشكل متغيرا وسيطا يؤثر في اختيار كل مراهق لوسائل الاتصال ومحتواها.

وعليه يمكن القول أن المستحدثات التكنولوجية التي يستخدمها التلاميذ تحقق لهم اشباعا متعددة يعد بعضها تعويضا عن النقص الذي يشعرون به في علاقاتهم مع الكبار.

الاستنتاجات:

استنتجنا من خلال الدراسة الميدانية ان مستحدثات التكنولوجيا التي يستخدمها التلاميذ اصابهم بالعزلة والابتعاد عن العائلة والأصدقاء، فالإستخدام الفردي قضى على العلاقات العائلية حيث أن التلميذ يعيش مرحلة انهيار مع الشاشات العديدة المتوفرة لديه.

فالببوت أصبحت تتوفر على أكثر من وسيلة تكنولوجية، نجد في البيت الواحد أكثر من جهاز تلفزيون، أكثر من حاسوب واحد، وهواتف نقالة بعدد أفراد الأسرة وأصبح بمقدور التلميذ مشاهدة ما يشاء عن طريق الانترنت ان لم يكن في البيت ففي مقاهي الأنترنت دون مراقبة ويمكنه تحميل جواله بما يشاء من الأنغام والصور والفيديوهات والتي أصبح يتفنن التلاميذ في تبادلها بعيدا عن أعين الكبار.

ان الإستخدام المكثف لهذه الوسائل جعل التلاميذ يعتزلون الحياة الاجتماعية والاسرية وحتى التخلي عن المشاهدة الجماعية للتلفزيون.

يقضى تلاميذ عينة الدراسة وقتا طويلا بين الشاشات المتوفرة لديهم: شاشة التلفزيون، وشاشة الحاسوب وشاشة الهاتف النقال، انه وقت يجدون فيه ترويجا واسترخاء، يعفيهم من متطلبات الحياة، ويبعدهم عن وصاية الراشدين، ان مستحدثات التكنولوجيا تجعل

التلاميذ يعيشون في واقع بعيد عن واقعهم لا يستطيعون حتى فهمه أحيانا الامر الذي يعزز الشعور لديهم بالاغتراب مما يدفع بهم إلى الانعزال عن المجتمع من جهة والادمان من جهة أخرى.

أصبحت مستحدثات التكنولوجيا منافسا للأسرة والمدرسة في نقل انماط ثقافية تؤثر على تنشئة الطفل داخل المجتمع وبعملية حسابية بسيطة يمكننا أن نعرف الوقت الذي يقضيه التلميذ في استخدام مستحدثات التكنولوجيا.

لم تعد عملية التنشئة الاجتماعية محصورة في الأسرة والمدرسة فحسب إنما هي أوسع من ذلك، بحيث أصبحت تضم نظاما وعلاقات ومؤثرات كثيرة ومتنوعة. ولهذا فمستحدثات التكنولوجيا هذه بمختلف أنواعها تعتبر من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية -الثقافية وأخطرها على التلاميذ بما تتضمنه من معلومات وخبرات وما تقدمه من سلوك وأحداث.

قد تعود كثافة الإستخدام من قبل التلاميذ لهذه المستحدثات إلى الرغبة الملحة في التمرد على الأسرة، المدرسة والمجتمع، نتيجة عوامل الكبت والاحباط التي يتعرضون لها، ونتيجة فقدانهم للمكانة الاجتماعية.

أثبتت الدراسة تراجع دور الأهل والمدرسة كمؤسسة في علاقة المراهق بمستحدثات التكنولوجيا فانشغال الأم أحيانا وعدم اهتمام الأب بأبنائه، دعم علاقة المراهق بهذه المستحدثات حيث تنشأ بين الطفل وهذه الوسائل علاقة خاصة تحدد طبيعة الاستخدام، فالتلميذ ونظرا لخصوصية المرحلة العمرية التي يمر بها وحساسيتها مشغول بالعديد من الأمور التي تتعلق به وبنموه الجسدي وبعوطفه، واحاسيسه ولا يجد لها أجوبة مقنعة وكافية في محيطه الأسري والمدرسي، فهي تحقق له أغراضا خاصة به تبعده عن عالم تعود السلطة فيه للكبار. انه يجد في هذه المستحدثات حرية الإستخدام والتفاعل، فإلى جانب التسلية والترفيه تفتح له مجالات للحوار وإنشاء صداقات جديدة الشيء الذي يفتقده في محيطه.

يستطيع التلميذ من خلال الاستخدام والاشباع الذي تقدمه له هذه المستحدثات بناء عالم جديد مختلفا عن العالم الذي يعيش فيه، كما يستطيع ان يحدد جزئياته بمفرده كما يحدد أفراد وطبيعة الحوار.

لقد تبنت مستحدثات التكنولوجيا التلاميذ ورسمت لهم الأدوار والسلوكيات الاجتماعية فهل تخلق المربون من أولياء ومعلمين طوعا عن القيام بمسؤولياتهم ازاء هؤلاء التلاميذ أم أن مستحدثات التكنولوجيا لها منطقتها الخاص؟

لا يتعامل التلميذ مع وسائل الاتصال باعتباره فردا منعزلا عن واقعه الاجتماعي وانما باعتباره فردا في جماعة يتأثر ويؤثر فالحاجات المرتبطة بمستحدثات التكنولوجيا لدى التلميذ تنشأ من وجوده وتفاعله في بيئته الاجتماعية.

ان المواقف التي يتعرض لها التلميذ والحاجات النفسية التي تنتج عنها، تدفع به إلى البحث عن حاجات معينة عن طريق استخدام مستحدثات التكنولوجيا وهذه العملية تشكل في حد ذاتها نوعا من الاشباع.

ان التلاميذ عينة الدراسة جمهورا نشطا في اختياره للوسيلة واستخدامه لها بما يحقق له الاشباع المطلوب. توفر مستحدثات التكنولوجيا للتلاميذ الاسترخاء والمتعة كما تزودهم بالمعلومات لتقمص الادوار المستقبلية. كما نبعدهم عن الواقع الذي يعيشونه.

خاتمة:

تشجع مستحدثات التكنولوجيا حاجة التلاميذ إلى قضاء أوقات الفراغ ومساعدتهم على الاحاطة علما بما يقع حولهم من أحداث، كما أنها تساعدهم على التخلص من حالات الفشل في تحقيق قبول جماعة الرفاق من خلال ما يملكونه وما يستخدمونه من وسائل، ومن خلال ما يستهلكونه من مواد وهي بهذا تلعب دور الرفيق وتساعد على خفض التوتر والشعور بالعزلة.

تشجع مستحدثات التكنولوجيا رغبة اثبات الذات فالمدة التي يقضيها المستخدم قابعا أمام هذه الوسائل تزيد شعوره بذاته وقدرته على التحكم والسيطرة.

ان استخدامات التلاميذ لمستحدثات التكنولوجيا ابعدهم عن ثقافة اللغة والكلمة وأدخلتهم في ثقافة الصورة، والتي تعتبر إحدى الوحدات الرمزية والأساسية في لغة الشاشات، فأصبح التلميذ يفكر من خلال الاشكال والاشارات والأصوات والألوان والحركات،

فالشاشات التي يتعرض لها لا تتيح لمستخدمها تكوين صور ذهنية عن الأحداث والأفكار والواقع المعاش، ولا يسعنا إلا أن نقول كما قال زيمرمان Zimmerman أن الافواه سكنت اما الصورة، وتوقف المتحدثون عن الكلام. Stop talking فالمستخدم أصبح يضبط سلوكه أمام الآلة التي تدخله إلى ثقافة الآخر الذي يشاهده، وخطورة الصور هنا أنها تعتبر رموزا لا يوفق التلميذ في فهمها لأنها تحمل خصوصية صانعها وبعيدة عن خصوصية مجتمعه.

الهوامش:

- 1- نانسي آن جينينغ Jennings, Nancy Ann. "الأطفال والأسرة والمدارس في مجتمع المعلومات"، دراسة ميدانية بولاية تكساس، الولايات المتحدة الأمريكية، 2000.
- 2- نيكين بيتر Nikken, Peter. "استخدام الأطفال الهولنديين للإنترنت وألعاب الفيديو" دراسة ميدانية بالمدارس الابتدائية لأمستردام، هولندا، 2000.
- 3- دراسة شيرلي Cherly وجونز لي Jones, Lee. "تأثير تدخل الوالدين على استخدام الأطفال للمواد الترفيهية فالتلفزيون والإنترنت وألعاب الفيديو"، دراسة ميدانية بمدينة نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية، 2000.
- 4- ماري كاترين كوران Curran, Marie Catherine. "استخدام الأطفال للإعلانات التي تعرض على التلفزيون والإنترنت"، فرنسا، 2000.
- 5- حسن علي محمد. "استخدامات الشباب الجامعي للقنوات الفضائية الغنائية والإشباع المتحققة"، دراسة ميدانية للشباب الجامعي بالقاهرة، مصر، 2004.
- 6- صفا فوزي. "علاقة الطفل المصري بوسائل الاتصال الإلكترونية"، دراسة بمحافظة القاهرة الكبرى، مصر، 2000.
- 7- ديفلير، ملفين: ل. روكيتش؛ ساندرا، بول. نظريات وسائل الاعلام، ترجمة عبد الرؤوف كمال، ص. ص: 235-236.

8-Black, Jay and Brayant, Jennings: Introduction to mass communication, Understanding the past experience in the present, Sage, London, 1984, p.33.

9-Houit, D. Mass media an social problems, Academic Press, New York, 2nd ed, 1983. pp.21-24.

10-Edelstein, Alex and Kepplinger, Mathias: Communication and culture, a comparative approach, USA Prentice Hall, ND. p.26.

11-Black and Brayant: op. cit., p.26.

12-Severin, Warner J, and Tankard, W: Communication theories, Origins, Methods, Hasting Houses: New York, 1979. p.248.

13-S.A, Westinyer and R.L. Dieiccio and R.B. Rubin: "Appropriateness and Effectiveness of communication channels in competent interpersonal communication", Journal of Communication Vol.48. N°33. 1988, p. 28.

14-Baran, Standey and Dennis, Davis: Mass communication, theory foundation ; Present and Future, Belmont, Sydney, 2000. p212.

15-Gerald, Kline and Peter, V. Miller and Morrison A.J: Adolescents and family planning information, the uses of mass communication, Sage Publication: London, 1989. p. 115.

16-Bantz, Charles R.: Exploring uses and gratifications, Communication research, Vol.9. N°3, 1982. pp. 353-354.

17-Ibid: p. 355.

18-Escarpit, Robert: Théories Générale de l'information et de la communication, Hachette, 1976. p. 74.